

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال

4418 - عن ابن عباس قال : لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من الطائف ستة

أشهر ثم أمره الله بغزوة تبوك وهي التي ذكر الله ساعة العسرة وذلك في حر شديد وقد كثر النفاق وكثر أصحاب الصفة والصفة بيت كان لأهل الفاقة يجتمعون فيه فتأتيهم صدقة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وإذا حضر غزو عمد المسلمون إليهم فاحتمل الرجل الرجل أو ما شاء الله فجهزوهم وغزوا معهم واحتسبوا عليهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالنفقة في سبيل الله والحسبة فأنفقوا احتساباً وأنفق رجال غير محتسبين وحمل رجال من فقراء المسلمين وبقي أناس وأفضل ما تصدق به يومئذ أحد عبد الرحمن بن عوف تصدق بمأتي أوقية وتصدق عمر بن الخطاب بمائة أوقية وتصدق عاصم الأنصاري بتسعين وسقاً من تمر وقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله إني لأرى عبد الرحمن بن عوف إلا قد أخبرت ما ترك لأهله شيئاً فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لأهلك شيئاً قال : نعم أكثر مما أنفقت وأطيب قال : كم ؟ قال ما وعد الله ورسوله من الصدق والخير وجاء رجل من الأنصار يقال له أبو عقيل بصاع من تمر فتصدق به وعمد المنافقون حين رأوا الصدقات فإذا كانت صدقة الرجل كثيرة تغامزوا به وقالوا : مرأى وإذا تصدق الرجل بيسير من طاقته قالوا هذا أحوج إلى ما جاء به فلما جاء أبو عقيل بصاع من تمر قال : بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين والله كان عندي من شيء غيره وهو يعتذر وهو يستحي فأتيت بأحدهما وترك الآخر لأهلي فقال المنافقون هذا أفقر إلى صاعه من غيره وهم في ذلك ينتظرون نصيبهم من الصدقات غنيهم وفقيرهم .

فلما أرف خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا الإسئذان وشكوا شدة الحر وخافوا : زعموا الفتنة إن غزوا ويحلفون بالله على الكذب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذن لهم لا يدري ما في أنفسهم وبنى طائفة منهم مسجد النفاق يرصدون به الفاسق أباً عامراً وهو عند هرقل قد لحق به وكنانة بن عبد ياليل وعلقمة بن علفة العامري وسورة براءة تنزل في ذلك أرسالا ونزلت فيها آية ليست فيها رخصة لقاعد فلما أنزل الله : { انفروا خفاً وثقالاً } اشتكى الضعيف الناصح لله ولرسوله والمريض والفقير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا هذا أمر لا رخصة فيه وفي المنافقين ذنوب مستورة لم تظهر حتى كان بعد ذلك وتخلف رجال غير مستبقيين ولا ذوي عذر ونزلت هذه السورة بالبيان والتفصيل في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن اتبعه حتى بلغ تبوك فبعث منها علقمة بن محرز المدلجي إلى فلسطين وبعث خالد بن الوليد إلى دومة الجندل فقال : أسرع لعلك أن تجده خارجاً يتقنص فتأخذه فوجده فأخذه

وأرجف المنافقون في المدينة بكل خبر سوء فإذا بلغهم أن المسلمين أصابهم جهد وبلاء تباشروا به وفرحوا وقالوا : قد كنا نعلم ذلك ونحذر منه وإذا أخبروا بسلامة منهم وخير أصابوه حزنوا وعرف ذلك فيهم كل عدو لهم في المدينة فلم يبق أحد من المنافقين إلا استخفى بعمل خبيث ومنزلة خبيثة واستعلن ولم يبق ذو علة إن وهو ينتظر الفرغ فيما ينزل [كتابه ولم تزل سورة براءة تنزل حتى طن المؤمنون الطنون وأشفقوا أن لا ينفلت منهم كبير أحد أذنب في شأن التوبة قط ذنبا إلا أنزل فيه أمر بلاء حتى انقضت وقد وقع بكل عامل بيان منزله من الهدى والضلالة .

(ابن عائد كر) . (ابن عائد : هو عبد الرحمن الثمالي .

هكذا ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب . [301 / 12] .)